﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: 17 - 19]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقالُ مِن بَيانِ أهوالِ يَومِ الدّينِ ومَصيرِ الخَلائِقِ فيهِ إلَى تَمجيدِه وتَعظيمِه

لمّا ذَكَرَتِ الآياتُ السّابِقَةُ تَقسيمَ الخَلقِ إلَى أبرارٍ وفُجّارٍ، وتَحدَّثَت عن جَزاءِ كلٍّ مِنهُم في يَومِ الدّينِ؛ جَرَتِ الحِكمةُ أن يُعادَ التَّنبيهُ إلى هَولِ ذاكَ اليومِ وعِظَمِ شأنِه؛ فجاءَ الاستفهامُ المُعظِّمُ المُكرَّرُ؛ ليُلفِتَ السّامِعَ إلى أنَّ ما سَبَقَ من وصفٍ لِلثَّوابِ والعِقابِ ليسَ كافيًا للإحاطةِ بحَقيقَةِ ذاكَ اليَومِ، بَلْ ما خَفيَ أدهى وأعظمُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَدۡرَىٰكَ﴾: (درى) أصلٌ يَدُلُّ على قَصْدِ الشَّيءِ واعتمادِهِ طَلَبًا[1]، ومِنْهُ الدِّرايَةُ، وهيَ المَعرِفَةُ المُدرَكَةُ بضَربٍ مِنَ الحَتَل، يُقال: دَرَيتُه، ودَرَيتُ به دِرْيَةً، والمبنيُّ على صيغةِ (أفْعَلَ) لِلتَّعديَةِ، يُقالُ: أدْرَى يُدْري إدْراءً؛ إذا أعلَمَ، أو جعلَ غيرَهُ يَعلمُ، فالفعلُ أدْرَى معناه في أصلِ اللغةِ: جعلَك تَدري، أي: جعلَك تَعلمُ الشيءَ بعدَ أنْ لم تكنْ تعلمُه، وأدْراهُ به: أعْلَمَه، وفي التنزيل: ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ [يونس: 16][2]، وقد وردَ هذا الأسلوبُ في القرآنِ كثيرًا، ويُستعملُ في مقامِ التعظيمِ والتهويلِ؛ تنبيهًا على عِظمِ ما يُخبَرُ به، وكونِه من الأمورِ التي لا تُدرَكُ بالعقلِ أو التجربةِ، بل تحتاجُ إلى وحيٍ خاصٍّ، كقولِه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧﴾ [المدثر: 27]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥﴾ [الهمزة: 5]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، وكُلُّ مَوضِعٍ ذُكِرَ في القرآنِ بصيغَةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (درى).
(2) ابن سيده، المُحكم: (درى).

الماضي (وما أدراك)؛ فقَدْ عُقِّبَ ببَيانِه، وكُلُّ مَوضِعٍ ذُكِرَ فيه بصيغَةِ المُضارِع - (وما يُدريك) - لَم يَعْقُبْه بَيانُه[1]، والمقصودُ به هنا: أنّ يومَ الدّينِ لا يُدرِكُ حقيقتَه أحدٌ إلّا إذا شاءَ اللّه؛ لِما فيه من عظائمِ الأمورِ، وشدائدِ الأهوالِ، التي تُخرِسُ الألسُنَ، وتُذهِلُ العقولَ.

2) ﴿وَٱلۡأَمۡرُ﴾: (أمر) أصلٌ يَدُلُّ على السّيادَةِ والتَّسَلُّطِ، يُقالُ: أمَرَ يَأْمُرُ أمرًا؛ إذا أصْدَرَ حُكْمًا أو طَلَبًا يَجِبُ تنفيذُه، ومنه: أمرُ الوالي، وأمرُ السُّلطان، أي: ما يُصدِرُه من قراراتٍ يُلزِمُ بها رَعيَّتَه[2]، والأمرُ يُطلَقُ في اللُّغَةِ على الحُكْمِ والتّدبيرِ والتَّسَلُّطِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: 54]، أي: لهُ الإيجادُ ولهُ التَّصرُّفُ، وفي الآيةِ الكريمةِ من سورةِ الانفطار، فالمقصودُ من (الأمر): الحُكْمُ المُطلَقُ والتّدبيرُ التّامُّ، الذي لا يُشارِكُ فيه أحدٌ ربَّ العالمينَ، وهو قصرٌ للأمرِ قصرَ استئثارٍ في ذلك الموقفِ الرّهيب.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تَعظيمُ يَومِ الدّين

في هَذِهِ الآياتِ تعظيمٌ لشأنِ يومِ الدينِ، وتفخيمٌ له بما يُثيرُ في النَّفسِ الشُّعورَ بالرَّهبةِ والوجلِ[3]، وذلك من خِلالِ أُسلوبِ الاستِفهامِ الوارد في قول اللّه تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ في مقامِ التهويلِ والتعجيبِ من هَولِ ذلكَ اليوم؛ إذْ لا يبلُغُ العقلُ - مَهما أُوتيَ من فِطنَةٍ - أن يُحيطَ بحقيقتِه، أو يتصوّرَ مآلَه، ولذلكَ كَرَّرَ التنبيهَ مرّةً ثانيةً تفخيمًا لشأنه، فقال: ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، وهو تكرارٌ يُفيدُ تعاظُمَ الأمرِ، وتراكُمَ الهيبةِ[4]، ثمّ كَشَفَ عن بعضِ سِماتِ هذا اليوم، فقالَ: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾، أي: لا يملِكُ أحدٌ لأحدٍ نفعًا ولا ضرًّا، ولا يَنفَعُ مالٌ ولا جاهٌ؛ لأنّ الأمرَ في هذا اليوم

(1) الراغب، المفردات: (درى).
(2) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (أمر).
(3) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 3/ 555.
(4) الواحديّ، التفسير الوسيط: 4/ 439، والسّمعاني، تفسير القرآن: 6/ 176.

للّه ﷻ، فهوَ صاحِبُ السُّلطانِ المطلقِ الذي لا يُنازعُه فيه أحدٌ، ولا يُعارِضُه مُعتَرِضٌ، ولا يَردُّ حُكمَه رادٌّ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو:

مِنْ تَقريرِ المَصيرِ إلَى تَعظيمِ يَومِ الدّين

الواوُ في قَوْلِ اللّه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ هيَ واوُ الاستِئناف، جيءَ بها لِتَفْصيلِ ما أُجْمِلَ في قَوْلِه: ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾[1]، فكانَت مُمَهِّدَةً لاستِفْهامٍ تَفْخيميٍّ يُظْهِرُ هَوْلَ ذَلِكَ اليَوْم، ومَعْنَى هَذا الاستِئْنافِ أنَّهُ جُعِلَ انتِقالًا بَعْدَ إثْباتِ المَصيرِ إلَى تَصْويرِ مَشْهَدِ الجَزاءِ، فدَلَّتِ الواوُ على أنَّ الجُمْلَةَ الَّتي بَعْدَها مُسْتَأْنَفَةٌ، لَيْسَت عَطْفًا على ما قَبْلَها في نَسَقِ الجُمَلِ المَسوقَةِ لِوَصْفِ الأبْرارِ والفُجّارِ، بَلْ هيَ إبْرازٌ لِمَقامٍ آخَرَ، هوَ مَقامُ التَّهْويلِ.

بَلاغَةُ الاستِفْهام:

التَّهْويلُ والتَّفْخيم

الاستِفْهامُ في قَوْلِ اللّه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ مَسوقٌ مَساقَ التَّهْويلِ والتَّفْخيم؛ إذْ لَيْسَ المُرادُ طَلَبَ المَعْرِفَةِ، بَلِ المُرادُ بَثُّ الرَّهْبَةِ في النَّفْسِ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْم، وإظْهارُ أنَّ العَقْلَ البَشَريَّ لا يَسْتَوْعِبُ حَقيقَةَ شِدَّتِه وعَظَمَتِه، فجاءَ هَذا التَّرْكيبُ على سَبيلِ التَّفْخيمِ لِلمَسْؤولِ عَنْهُ، ومِنْ هُنا كانَ في التَّعْبيرِ تَفْتيتٌ لِأمنِ المُكَذِّبينَ، وإدْخالٌ لِلرَّهْبَةِ على أفْئِدَتِهم.

دَلالَةُ تَوجيهِ الخِطاب:

تَشريفُ النَّبيِّ ﷺ وإنذارُ أُمَّتِه

تَوْجيهُ الخِطابِ إلَى النَّبيِّ ﷺ في قَوْلِ اللّه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، جاءَ على طَريقِ التَّشْريفِ لَهُ والتَّنْبيهِ لأُمَّتِه، فإنَّ الخِطابَ لَهُ ﷺ في مِثْلِ هَذا المَقامِ إنَّما المُرادُ بِهِ جَميعُ المُخاطَبينَ؛ لأنَّ المُخاطَبَ الأوَّلَ هوَ القائِمُ بالتَّبْليغِ، وإذا بُلِّغَ؛ صارَ الكَلامُ كَأنَّهُ مَوَجَّهٌ

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 30/ 265.

إلَى الجَميعِ[1]، ومِنْ لَطائفِ هذا الخِطابِ في مَقامِ التَّخْويف أنّ فيهِ إشْعارًا بأنَّ أهْوالَ ذَلكَ اليَوْمِ ممّا تَقْصُرُ العُقولُ عَنْ إدْراكِهِ، حَتَّى إنَّهُ لا يَعْلَمُهُ بكُنْهِهِ أفْضَلُ الخَلْقِ، فكَيْفَ بسائِرِ النّاسِ؟ ففي ذَلكَ تَغْليبٌ لِلإنْذارِ، وتَشْديدٌ في التَّهْويلِ.

دَلالَةُ فِعْلِ الدِّرايَة:

الغَيْبيّاتُ طَريقُها الوَحْيُ لا العَقْل

إنَّ استِعْمالَ فِعْلِ الدِّرايَةِ في مَقامِ قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ دونَ الإعْلامِ مَثَلًا يَدُلُّ على أنَّ حَقيقَةَ يَوْمِ الدّينِ لا تَنالُها العُقولُ بتَأمُّلٍ، ولا تَصِلُ إلَيْها الأفْهامُ بمُجَرَّدِ التَّصَوُّرِ؛ لأنَّهُ فوْقَ ما يَسْتَطيعُ الإنسانُ أنْ يُحيطَ بهِ بالفِكْرِ أوِ الخُبْرِ، فإنَّ أهْوالَهُ ومَظاهِرَ قُدْرَةِ اللّه فيهِ ممّا يَتَعاجَزُ عَنْهُ العَقْلُ، وفي هَذا تَفْخيمٌ لِشَأْنِ يَوْمِ الدّينِ، وتَشْديدٌ في التَّهْويلِ؛ إذْ لَوْ جاءَ التَّعْبيرُ (وَما أعْلَمَكَ)؛ لَكانَ المَعْنَى مُنْصَرِفًا إلَى مُجَرَّدِ الإعْلامِ؛ أمّا إذا جاءَ بالدِّرايَةِ؛ ففيهِ إشْعارٌ بأنَّ الأمرَ أعْظَمُ ممّا يَتَصَوَّرُهُ الذِّهْنُ، وأنَّ العِلْمَ بهِ لا يَكونُ إلّا بإخْبارِ اللّه تَعالَى.

دَلالَةُ العَطْفِ بحَرْفِ التَّراخي:

دَلالَةُ التَّراخي الرُّتبيِّ في زيادَةِ التَّهْويل

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بحرْفِ العَطْفِ ﴿ثُمَّ﴾، في قول اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ دونَ الواو؛ لِدَلالَتِهِ على التَّراخي الرُّتبيِّ[2]، فإعادَةُ جُملَةِ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ في المَرَّةِ الثّانيَةِ هيَ أبْلَغُ وأشَدُّ في التَّهْويلِ والتَّفْخيمِ ممّا كانَ في المَرَّةِ الأولَى، فالتَّراخي هُنا تَراخٍ في دَرَجَةِ التَّخْويفِ والتَّعْظيمِ، لا في تَرْتيبِ الزَّمانِ، فكَأنَّ المَعْنَى: (ما أدْراكَ أوَّلًا بهَوْلِ يَوْمِ الدّينِ؟ ثُمَّ اعْلَم أنَّ ما فوْقَ ذَلكَ أعْظَمُ وأشَدُّ ممّا تَصَوَّرْتَهُ أوَّلًا)، وهَذا أشْبَهُ بتَرَقّي المُخاطَبِ في مَراتِبَ مِنَ التَّهْويلِ لا يَنْقَطِعُ زيادُها، وبذَلكَ يَتَبَيَّنُ أنَّ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 271.
(2) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 184.

﴿ثُمَّ﴾ في هَذا السّياقِ لِلتَّدَرُّجِ في إفادَةِ التَّهْويلِ والتَّفْخيمِ، وهوَ أَبْلَغُ مِمّا لَوْ أُعيدَتِ الجُملَةُ بالواوِ.

نُكتَةُ تَكرارِ ﴿مَآ﴾:

تَأكيدُ الإبْهامِ وتَعظيمُ الهَوْلِ

إنَّ تِكْرارَ أداةِ الاستِفهامِ ﴿مَآ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ جاءَ لِلتَّنْويهِ بشِدَّةِ الإبْهامِ والعَظَمَةِ في حَقيقَةِ يَوْمِ الدّينِ، فكَأنَّ الآيَةَ الأولَى ألْقَت في نَفْسِ السّامِعِ أنَّ ذَلِكَ اليَوْمَ مِمّا لا يَبْلُغُهُ وصْفٌ ولا إدْراكٌ، ثُمَّ جاءَ التَّكْرارُ في الآيَةِ الثّانيَةِ لِلتَّقْويَةِ والتَّأْكيدِ على هَذا الإبْهامِ، ولِيُشْعِرَ أنَّ العَقْلَ إنْ أعادَ النَّظَرَ، وكَرَّرَ التَّفَكُّرَ؛ فإنَّهُ يَعودُ إلَى الحَيْرَةِ نَفْسِها، وفي هَذا التَّكْرارِ زيادَةُ تَهْويلٍ وإثارَةُ رَهْبَةٍ في النُّفوسِ؛ إذِ المُتَلَقّي إذا سَمِعَ السُّؤالَ، وأُعيدَ عَلَيْهِ؛ انْفَتَحَ قَلْبُهُ على استِشْعارِ أنَّ الأمرَ عَظيمٌ جِدًّا، لا تَسْتَوْعِبُهُ المَعارِفُ البَشَريَّةُ.

بَلاغَةُ الإظهارِ:

التَّأكيدُ على هَولِ يَومِ الدّينِ وعَظَمَتِه

جاءَ التَّعبيرُ بإظهارِ ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ دونَ إضْمارِهِ تَأكيدًا لِهَولِ يَومِ الدّينِ وفَخامَتِه[1]، فتكونَ إعادَةُ ذِكْرِ ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ بصَريحِ لَفْظِهِ دونَ الاكْتِفاءِ بالضَّميرِ لِلتَّهْويلِ والتَّفْخيمِ؛ إذْ إنَّ المَقامَ مَقامُ تَخْويفٍ وإنْذارٍ؛ فذِكْرُ المَوْصوفِ بعَيْنِهِ أبْلَغُ في إثارَةِ الرَّهْبَةِ مِنْ إضْمارِهِ.

فَذِكْرُ المُظْهَرِ مَكانَ المُضْمَرِ جاءَ؛ لِيَكونَ وصْفُ يَوْمِ الدّينِ مَحَلًّا لِلاستِفْهامِ والتَّعَجُّبِ والتَّهْويلِ في كُلِّ مَرَّةٍ؛ إذْ لَوْ قيلَ: (وَما أدْراكَ ما هوَ)؛ لَضاعَ ما في التَّصْريحِ مِنْ تَجْسيمٍ وإثارَةٍ لِلرَّهْبَةِ، فإظْهارُ لَفْظِ ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ إذًا لَهُ وظيفَتانِ: إعْطاءُ الكَلِمَةِ جرسًا أقوى في السَّمعِ، وتَثْبيتُ مَعْناها في القَلْبِ على وجْهِ الإرْعابِ والإنْذارِ.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 271.

بَلاغَةُ تَكرارِ جُملَةِ الاستِفهام:

إثـارَةُ التَّشويقِ والـزِّيـادَةِ في الـتَّـفْـخـيـمِ والتَّهْويل

إنَّ تَكرارَ جُملَةِ: ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ بَعْدَ أنْ سُبِقَت بذِكْرِها أوَّلَ مَرَّةٍ هوَ مِنْ بابِ التَّهْويلِ[1] والتَّفخيمِ لِشَأنِ يَومِ الدّينِ الَّذي يُكَذِّبونَ به، تَفخيمٌ إثْرَ تَفخيم، وتَعجيبٌ مِنْهُ بَعْدَ تَعْجيب[2]؛ إذْ جيءَ بالأولَى لإثارَةِ التَّشَوُّقِ وتَوْجيهِ الذِّهْنِ إلَى هَوْلِ المَعْنَى، ثُمَّ أُعيدَتِ الجُملَةُ مَرَّةً ثانيَةً زيادةً في التَّفْخيمِ وتَضْخيمِ الهَوْلِ، على نَحْوٍ يَدُلُّ على أنَّ ذَلِكَ اليَوْمَ مِمّا لا تَبْلُغُهُ العُقولُ بتَصَوُّرٍ ولا تَحيطُ بِهِ الأوهامُ، فالتَّكْرارُ هُنا لِلتَّرَقّي في دَرَجاتِ التَّهْويلِ، وكُلُّ هَذا يُرادُ بِهِ التَّأكيدُ للمَعنَى الَّذي كُرِّرَ بِهِ اللَّفْظ[3]، وتَجاوُزُه حَدَّ الوَصْفِ والتَّعبير[4].

عِلَّةُ الفَصْل:

إبْـــرازُ عَـظَـمَـةِ يَـومِ الـدّيـنِ بَـينَ التَّهْويلِ وتَجْديدِ العِنايَةِ بالخَبَر

فُصِلَت جُملَةُ: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ عَنْ جُملَةِ: ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، مَعَ أنَّها في مَعْنَى التَّفْسيرِ لَها؛ لأنَّ المَقامَ مَقامُ تَفْخيمٍ وتَهْويلٍ، فجُعِلَ التَّفْسيرُ مُسْتَأْنَفًا كَأنَّهُ خَبَرٌ جَديدٌ يُرادُ إلقاؤُهُ بَعْدَ تَرْكِ المُخاطَبِ في هَيْبَةِ المُبْهَمِ، فلَوْ وُصِلَتِ الجُملَةُ بالسّابِقِ؛ لَكانَ المَعْنَى إفادَةَ شَرْحٍ عاديٍّ لِلمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ؛ أمّا وقَدْ فُصِلَت؛ فقَدْ أُفيدَ مَعَ التَّفْسيرِ أنَّ ذَلِكَ اليَوْمَ لَهُ شَأْنٌ عَظيمٌ، يَسْتَحِقُّ أنْ يُبْدَأَ بالخَبَرِ عَنْهُ في جُملَةٍ جَديدَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ.

تَوجيهُ قِراءَتَي ﴿يَوۡمَ﴾:

تَكامُلُ القِراءاتِ فيهِ تَعظيمٌ لِهَذا اليَوم

قَرَأ ابْنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو ويَعقوبُ ﴿يَوۡمُ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ بالرَّفْع، جَعَلوهُ صِفَةً لقَوْله: ﴿يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، ويجوز أن يكونَ خَبَرَ مبتدأٍ مَحْذوفٍ، تَقْديرُهُ: (هوَ يَوْمُ لا تَملِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا)[5]، فكانَت

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 717.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 271.
(3) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 150.
(4) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 184.
(5) أبو زرعة، حجة القراءات، ص: 753، وابن الجزري، النشر: 2/ 399.

هَذِهِ القِراءَةُ مُفيدَةً تَفْخيمًا لِشَأْنِ ذَلِكَ اليَوْمِ، بإفادَةِ الاستِئْنافِ والتَّجْريدِ لَهُ مِنْ جُملَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ، وقَرَأَ الباقونَ بالنّصب ﴿يَوْمَ﴾، أي: (هَذِهِ الأحْداثُ المَذكورَةُ تَكونُ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾)، ويَجوزُ أنْ يَكونَ النَّصْبُ على الإغْراء، بمَعْنَى: (الزَموا، واحْذَروا ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾)، وكِلْتا القِراءَتَيْنِ مَسوقَتانِ لِلتَّهْويلِ ولِتَعْظيمِ أمرِ الحِسابِ وجَلالِ المَوْقِفِ، وهَذا التَّنَوُّعُ في القِراءَةِ يَزيدُ السّامِعَ إحاطَةً بعَظَمَةِ اليَوْمِ، فيَراهُ تارَةً مُبْتَدَأً جَليلًا يُبْدَأُ بالخَبَرِ عَنْهُ، وتارَةً يَراهُ مُفَسِّرًا لِما سَبَقَ مِنَ الإبْهامِ، وفي الحالَيْنِ تَتَرَسَّخُ هَيْبَةُ ذَلِكَ المَشْهَدِ في النُّفوسِ.

دَلالَةُ ﴿لَا﴾:

الاستِغْراقُ في نَفْيِ النَّفْعِ والدَّفْعِ في ذَلِكَ اليَوْمِ

إنَّ دَخولَ أداةِ النَّفْيِ ﴿لَا﴾ على الفِعْلِ في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ يَدُلُّ على الاستِغْراقِ في نَفْيِ مَلَكَةِ النَّفْعِ والدَّفْعِ في ذَلِكَ اليَوْمِ؛ فإنَّها نافيَةٌ لِكُلِّ مِلْكٍ ولِكُلِّ مَملوكٍ؛ لِتَظْهَرَ القَطيعَةُ التّامَّةُ بَيْنَ الأرْواحِ في مَقامِ الجَزاءِ، ومَعْنَى ذَلِكَ أنَّ كُلَّ ما كانَ في الدُّنْيا مِنْ تَمَلُّكٍ أو تَسَلُّطٍ يَنْقَطِعُ هُناكَ، فيَنْحَصِرُ الأمرُ في مُلْكِ اللهِ تَعالَى وحْدَهُ.

فاستِعمالُ ﴿لَا﴾ دونَ غَيْرِها - كَـ (ما) أو (لَنْ) - هوَ لِدَلالَتِها على تَجَدُّدِ الحالِ واستِمرارِهِ، فكَأنَّ القُرْآنَ صَوَّرَ المَشْهَدَ تَصويرًا مُتَكَرِّرًا أمامَ السّامِعِ، فتَجَسَّدَ مَعْنَى العَجْزِ الكُلّيِّ، واسْتُحْضِرَتْ هَيْبَةُ المَوْقِفِ.

بلاغة الكناية في فعل ﴿تَمْلِكُ﴾:

سُقوطُ كُلِّ مَظاهِرِ المِلْكِ والمُلْكِ للخَلْقِ، وإثْباتُها لِلْواحِدِ القَهّارِ

إنَّ التَّعْبيرَ بالمِلْكِ في قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ كِنايَةٌ عَنْ عَدَمِ الاقْتِدارِ وسُقوطِ سُلْطانِ المُعاوَنَةِ والاحْتِماءِ، فلَيْسَ المُرادُ نَفْيَ المِلْكِ الحِسّيِّ فقَطْ، بلِ الكِنايَةُ عَنْ بُطْلانِ كُلِّ سَبَبٍ كانَ يَتَوَهَّمُهُ الإنْسانُ سَبيلًا لِلنَّجاةِ، فذِكْرُ المِلْكِ أُريدَ بِهِ

القُدْرَةُ على النَّفْعِ والدَّفْعِ، وهوَ مِنْ مَجازِ الكِنايَةِ الَّذي يُذْكَرُ فيهِ اللّازِمُ، ويُرادُ مَلْزومُهُ.

فَمِنْ بَلاغَةِ هَذِهِ الكِنايَةِ تَهْويلُها لِلْمَشْهَدِ؛ إذْ تُصَوِّرُ الإنْسانَ عاريًا مِنْ كُلِّ ما كانَ يَعْتَصِمُ بِهِ في الدُّنْيا مِنْ مالٍ أو جاهٍ أو قُرْبَى، فإذا أبْطَلَ القُرْآنُ المُلْكَ - وهوَ أصْلُ التَّصَرُّفِ - فقَدْ بَطَلَ بالتَّبَعِ كُلُّ ما سِواهُ مِنْ أسْبابِ العَطاءِ والنَّصيرِ.

دَلالَةُ التَّعبيرِ بالمُضارِعِ:

استِحْضارُ المَشْهَدِ وإفادَةُ الدَّوام

إنَّ الاستِعْمالَ لِلمُضارِعِ في قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ مَسوقٌ لاستِحْضارِ الحالِ، كَأنَّهُ مَرْئِيٌّ مُشاهَدٌ، فيُصَوِّرُ للسّامِعِ كَأنَّهُ يَنْظُرُ في تِلْكَ السّاعَةِ، الَّتي تُسْلَبُ فيها كُلُّ نَفْسٍ سُلْطانَ التَّصَرُّفِ والاقتِدارِ، والتَّعبيرُ بالمُضارِعِ أبْلَغُ في التَّهْويلِ؛ لأنَّهُ يَنْقُلُ الغَيْبَ إلَى صورَةِ المُحاضِرِ، فيَكونُ في ذَلِكَ تَقْريبٌ لِلمُتَوَعَّدِ وإنْذارٌ لِلمُخاطَبِ، وهوَ مَعَ ذَلِكَ يُشْعِرُ باستِمرارِ الحالِ، أيْ: إنَّ نَفْيَ المُلْكِ لَيْسَ طارِئًا في بَعْضِ أطْوارِ ذَلِكَ اليَوْمِ، بَلْ هوَ ثابِتٌ فيهِ دائِمٌ مُتَّصِلٌ، لا تَتَخَلله فُسْحَةُ استِثناءٍ، ولا فُرْصَةُ تَخَلُّصٍ.

بَلاغَةُ التَّعبيرِ بالنَّفْسِ:

إبرازُ الفَرْديَّةِ وكَمالِ العَجْزِ في يَومِ الدّين

إنَّ اخْتيارَ لَفْظِ النَّفْسِ في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ - دونَ (أحَد) - يَحْمِلُ مَعْنًى بَلاغِيًّا دَقيقًا، فإنَّ النَّفْسَ أقْوَى في الدَّلالَةِ على الذّاتِ بحَقيقَتِها المُجَرَّدَةِ مِنْ مَقاماتِ الجاهِ أوِ السُّلْطانِ أوِ القوَّةِ الَّتي قَدْ تَتَعَلَّقُ باسْمِ أحَدٍ في المُخاطَباتِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فجاءَ التَّعْبيرُ بالنَّفْسِ؛ لِيُشْعِرَ أنَّ كُلَّ ما فيها مِنْ قوًى أو مَقاديرَ قدِ انْدَثَرَ، ولَمْ يَبْقَ إلّا الذّاتُ الإنْسانيَّةُ، مُعَرّاةً مِنْ كُلِّ دَعائِمِها، وفي ذَلِكَ تَجْريدٌ لِلإنْسانِ وتَعْرِيَةٌ لَهُ مِنْ كُلِّ ما كانَ يَعْتَصِمُ بِهِ في الدُّنْيا، فلا تَبْقَى إلّا نَفْسٌ مُفْرَدَةٌ تواجِهُ مَصيرَها دونَ عَوْنٍ ولا نَصيرٍ، وهَذا أبْلَغُ في التَّفْظيعِ مِنْ قَوْلِ: (لا يَملِكُ أحَدٌ)؛ لأنَّ في الأخيرِ إشْعارًا

بعُمومٍ مُجَرَّدٍ، بَيْنَما في التَّعْبيرِ بالنَّفْس تَفْريدٌ لِكُلِّ ذاتٍ، وتَخْصيصٌ لِحالِها الشَّخْصيِّ، فكانَ التَّعْبيرُ مَحْمولًا على إظْهارِ كَمالِ العَجْزِ، وإقامَةِ صورَةِ اليَوْمِ على أشَدِّ ما يَكونُ مِن إبْرازِ الفَرْديَّةِ والانْقِطاعِ عَنِ المُعينِ.

نُكْتَةُ التَّنْكير:

إفـادَةُ عُـمـومِ الـعَـجْـزِ لِـكُـلِّ نَـفْـسٍ في يَـومِ الدّين

إنَّ تَنْكيرَ لَفْظِ النَّفْسِ في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ جاءَ لِلتَّفْظيعِ والتَّهْويلِ؛ إذِ المُقْتَضَى أنْ يُقالَ: (لا تَملِكُ النَّفْسُ)؛ ولَكِنَّ الإتيانَ بالتَّنْكيرِ أفادَ عُمومًا مُطْلَقًا يَتَناوَلُ كُلَّ نَفْسٍ على الإبْهامِ، صَغيرَةً كانَت أو كَبيرَةً، شَريفَةً أو وضيعَةً، ففي هَذا التَّنْكيرِ إفادَةُ العُمومِ والتَّهْويلِ، بخِلافِ التَّعْريفِ.

دَلالَةُ اللّام:

قَـطْـعُ أسْـبـابِ المُعاوَنَة، وتَقْريرُ الانـفـرادِ يَـومَ الدّين

اللّامُ الجارَّةُ في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ هيَ لامُ الاختِصاصِ والاستِحقاقِ، أُدْخِلَت لِتُبَيِّنَ أنَّ المَنْفَعَةَ أوِ المِلْكَ المَنْفيَّ لَيْسَ مَطْلَقَ التَّمَلُّكِ، بَلْ هوَ التَّمَلُّكُ الَّذي يُرادُ بِهِ جَلْبُ النَّفْعِ أو دَفْعُ الضُّرِّ عَنْ غَيْرِ المالِكِ، فالمَعْنَى: (لا تَقْدِرُ نَفْسٌ في ذَلِكَ اليَوْمِ أنْ تَملِكَ شَيْئًا تَخُصُّهُ لِنَفْسٍ أُخْرَى على وجْهِ الاستِفادَةِ)، وبِذَلِكَ صارَ في التَّعْبيرِ إفادَةُ قَطْعِ كُلِّ سَبيلٍ لِلشَّفاعَةِ أوِ المُساعَدَةِ مِنْ بَعْضِ المَخْلوقينَ لِبَعْضٍ، فكُلُّ نَفْسٍ قَدِ انْقَطَعَت عَنْها الأسْبابُ، وتَجَرَّدَت إلَى عَدْلِ اللهِ وحُكْمِهِ، فكانَ في اللّامِ دَلالَةٌ على أنَّ ذَلِكَ اليَوْمَ هوَ يَوْمُ الانفرادِ التّامِّ، لا يَجِدُ فيهِ المَرْءُ مَنْ يَخْدِمُهُ، أو يُغْني عَنْهُ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ [الدخان: 41].

نُكتَةُ التَّكرار:

تَـفْـظـيـعُ المَـقـامِ وتَـهْـويـلُـهُ بِقَطْعِ أسْبابِ المَعونَةِ يَومَ القيامَة

إنَّ تِكْرارَ لَفْظِ النَّفْسِ في المَوْضِعَيْنِ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ دونَ الاكتِفاءِ بالتَّعْبيرِ عَنِ المَجْرورِ بقَوْلِهِ: (لِأُخْرَى)؛ جاءَ لِمُقْتَضَى البَلاغَةِ في تَفْظيعِ المَقامِ وتَهْويلِهِ، فذِكْرُ

النَّكِرَةِ في سياقِ النَّفْيِ يَعُمُّ كُلَّ ذاتٍ، وإعادَتُهُ مَعَ المَجْرورِ باللّامِ تَقْطَعُ كُلَّ تَوَهُّمٍ بأنَّ المَقْصودَ نَفْسٌ دونَ أُخْرَى، فيَصيرُ المَعْنَى: (لا توجَدُ ذاتٌ على الإطْلاقِ تَملِكُ لِذاتٍ أُخْرَى - أيًّا كانَت - أدْنَى مَنفَعَة).

وَمِنْ بَلاغَةِ هَذا التَّكْرار أنَّهُ يُحْدِثُ فاصِلًا بَيانيًّا يُفيدُ المُقابَلَةَ بَيْنَ النَّفْسِ الفاعِلَةِ والنَّفْسِ المَفْعولِ بها، فيَتَجَلَّى الانقِطاعُ التّامُّ في العَلاقاتِ الَّتي تَرْبِطُ بَعْضَ النُّفوسِ ببَعْضٍ في الدُّنْيا، وأيْضًا فإنَّ التَّصْريحَ بالمُطابِقِ في المَوْضِعَيْنِ أبْلَغُ في إفادَةِ عُمومِ الحُكْمِ مِنَ الإضْمارِ أوِ الإشارَةِ؛ لأنَّهُ يُشْعِرُ بأنَّ كُلَّ نَفْسٍ صارَت مَفْصولَةً مُسْتَقِلَّةً عَنِ الأُخْرَى، لا تُغْني، ولا تُغاثُ.

بَلاغَةُ التَّعبيرِ بالمَفْعولِ ﴿شَيْـًٔا﴾:

إفادَةُ العُمومِ في انقِطاعِ العَلائِقِ يوم الدّين

جاءَ التَّعبيرُ في قَوْلِ اللّه تَعالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ بذِكْرِ لَفْظِ الشَّيْءِ نَكِرَةً في سياقِ النَّفْيِ، وفيهِ تَعْميمٌ وتَفْخيمٌ لِلمَعْنَى؛ إذْ هوَ يَدُلُّ على أنَّهُ لا تَملِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ أيَّ شَيْءٍ كائِنًا ما كانَ، قَليلًا أو كَثيرًا، جَليلًا أو حَقيرًا، وذَلِكَ يُفيدُ أنَّ الانقِطاعَ في ذَلِكَ اليَوْمِ لَيْسَ في الأُمورِ العِظامِ فحَسْب، بَلْ يَتَناوَلُ أيْضًا أدْنَى ما كانَ يُتَصَوَّرُ أنْ يَجْرِيَ بَيْنَ النّاسِ في الدُّنْيا مِن عَطاءٍ أو نَفْعٍ.

فَلَفْظُ الشَّيْءِ اسْمٌ يَدُلُّ على جِنْسِ المَوْجودِ، وهوَ مُتَوَغِّلٌ في الإبْهامِ، يُفَسِّرُهُ ما يَقْتَرِنُ بِهِ في الكَلامِ مِنْ تَمييزٍ أوْ صِفَةٍ أوْ نَحْوِهِما، أوْ مِنَ السِّياقِ، ويُبَيِّنُهُ هُنا ما دَلَّ عَلَيْهِ فِعْلُ: ﴿لَا تَمْلِكُ﴾ واللّامُ، أيْ: (شَيْئًا يُغْني عَنْها، ويَنْفَعُها)، فانْتَصَبَ ﴿شَيْـًٔا﴾ على المَفْعولِ بِهِ لِفِعْلِ: ﴿لَا تَمْلِكُ﴾، أيْ: (لا سَبيلَ إلَى أنْ يَنْتَفِعَ أحَدٌ بأحَدٍ في أدْنَى مَظاهِرِ النَّفْعِ)، وهذا يُفيدُ تَأْييسَ المُشْرِكينَ مِنْ أنْ تَنْفَعَهُم أصْنامُهُم يَوْمَئِذٍ[1]، فالتَّعْبيرُ ﴿شَيْـًٔا﴾ في غايَةِ الإيجازِ والاستِغْراقِ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 185.

يُفيدُ نَفْيَ كُلِّ وُجوهِ المِلْكِ والتَّمَلُّكِ والاسْتِطاعَةِ في ذَلِكَ اليَوْمِ؛ ليَزْدادَ المَعْنَى تَهْويلًا وتَفْظيعًا.

دَلالَةُ الواوِ:

استِقْلالُ المَعْنَى، وإحْكامُ التَّقابُلِ

الواوُ في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ هيَ واوُ الاسْتِئْنافِ، جيءَ بها؛ لِتَكونَ هَذِهِ الجُمْلَةُ جُمْلَةً مُسْتَقِلَّةً في سِياقِ التَّهْويلِ والتَّفْخيمِ، لا مُجَرَّدَ تَفْريعٍ على ما قَبْلَهُ، ففَصْلُها بالواوِ يَجْعَلُها كَأَنَّها جُمْلَةٌ جَديدَةٌ مُنْبَثِقَةٌ لإبرازِ الأمرِ المُعْلَنِ الأعْظَمِ في ذَلِكَ اليَوْمِ، وهوَ أنَّ المُلْكَ كُلَّهُ قَدْ تَجَرَّدَ للهِ وحْدَهُ، فصارَتِ الجُمْلَةُ كاشِفَةً عَنْ خلاصةِ المَقامِ، بَعْدَ ذِكْرِ عَدَمِ تَمَكُّنِ النُّفوسِ، ومِنْ بَلاغَةِ التَّعبيرِ بالواوِ أنَّها أفادَتْ مَعَ ذَلِكَ رابِطًا بَيْنَ نَفْيِ مِلْكِ الأنْفُسِ وثُبوتِ مِلْكِ اللهِ، فكانَ التَّقابُلُ أوضَحَ، والتَّقْريرُ أشَدَّ.

دَلالَةُ تَعريفِ (الأمرِ):

إثْباتُ الأمْرِ المُطْلَقِ للهِ وحْدَهُ

تَعْريفُ لَفْظِ الأمرِ في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ بالألِفِ واللّامِ هوَ تَعْريفُ الجِنْسِ، والمُرادُ بِهِ جِنْسُ الشَّأْنِ والسُّلْطانِ والتَّصَرُّفِ في الكَوْنِ، فكَأنَّهُ قيلَ: (وَجَميعُ الشُّؤونِ يَوْمَئِذٍ للهِ)، وفي ذَلِكَ إشْعارٌ بالاسْتِغْراقِ الكُلِّيِّ، أيْ: إنَّه لا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ أمرٌ ولا تَصَرُّفٌ إلّا وهوَ خالِصٌ لِذاتِ اللهِ تَعالَى؛ وهَذا يُفيدُ القَصْرَ، فكَأنَّهُ قيلَ: (الأمرُ للهِ لا لِغَيْرِهِ)، وفي ذَلِكَ تَرْبِيَةٌ لِمَقامِ التَّهْويلِ؛ إذْ بَعْدَ أنْ أُبْطِلَتْ أملاكُ الأنْفُسِ جَميعًا؛ أُثْبِتَ المُلْكُ المُطْلَقُ للهِ وحْدَهُ، فكانَ التَّعْريفُ بمَنْزِلَةِ التَّعْيينِ لِلْمُرادِ، والتَّفْخيمِ لِشَأْنِهِ.

دَلالَةُ الإضافَةِ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

تَفخيمُ زَمَنِ يَومِ القيامَةِ وتَهْويلُه

إضافَةُ الظَّرْفِ (يومَ) إلَى الظَّرْفِ (إذْ)، في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، هيَ مِنْ بابِ إضافَةِ الشَّيْءِ إلَى نَفْسِهِ بواسِطَةٍ، وهوَ مِمّا يُسَمّيهِ البَلاغيّونَ بإضافَةِ المُبْهَمِ إلَى ما يُعَيِّنُهُ، فإنَّ (إذْ) ظَرْفٌ مَجْهولُ المَعْلَمِ، فإذا أُضيفَ إلَيْهِ (يَوْمَ) صارَ مُحَدَّدًا مُعَيَّنًا،

ومِثْلُ هَذِهِ الإضافَةِ تُفيدُ تَفْخيمًا لِلزَّمَنِ المُعَيَّنِ؛ لأنَّهُ صارَ كَأنَّهُ هوَ اليَوْمُ الَّذي لا يَتَعَلَّقُ الذِّهْنُ بغَيْرِهِ، ففي ذَلِكَ تَهْويلٌ لِأمرِ القيامَةِ، وتَأْكيدٌ لأنَّ الأمرَ كُلَّهُ يَنْقَلِبُ فيهِ إلَى مُلْكِ اللّه وحْدَهُ، فكَأنَّ المُعْتَبَرَ في ذَلِكَ اليَوْمِ هوَ ذَلِكَ الزَّمَنُ نَفْسُهُ، حَتَّى جُعِلَ مَعْلَمًا مَعْروفًا، تُرْتَقَبُ فيهِ نُشورُ الخَلائِقِ وانْقِطاعُ سُلْطانِ المَخْلوقينَ.

بَلاغَةُ الإيْجازِ بالحَذْف:

شِـدَّةُ التَّهْويلِ والتَّخْويفِ في يَومِ القيامَة

يَظْهَرُ إيْجازُ الحَذْفِ في قَوْلِ اللّه تَعالَى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ مِنْ خِلالِ التَّنْوين فيها، فهوَ تَنوينُ عِوَضٍ عَنْ جُملَةٍ مَحْذوفَةٍ، أيْ: عَنْ جُملَةٍ تُفَسِّرُ ما يَكونُ في ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الأحْوالِ والأطْوارِ الَّتي سَبَقَ ذِكْرُ بَعْضِها، وهَذا الإيجازُ بالحَذْفِ يُفيدُ تَهْويلًا وإرْهابًا؛ لأنَّ السّامِعَ يَتَخَيَّلُ مَحْذوفًا عَظيمًا لا تَسَعُهُ العِبارَةُ، فكَأنَّ المَعْنَى: (والأمرُ في ذَلِكَ اليَوْمِ الهائِلِ والشَّأْنِ الجَليلِ للّه وحْدَهُ)، ومِنْ ثَمَّ كانَ ذِكْرُ التَّنْوينِ كالتَّلْميحِ إلَى أنَّ يَوْمَ الدّينِ يَحْوي مِنَ الأحْوالِ ما لا يُحْصَى، وأنَّ تَصَرُّفَ الأمرِ كُلِّهِ يَرْجِعُ فيهِ إلَى اللّه دونَ غَيْرِهِ.

دَلالَةُ لامِ الجَرّ:

يَظْهَرُ يَومَ الدّينِ أنَّ الأمرَ المُطْلَقَ للّه وحدَه، لَيسَ لِغَيرِهِ مِنهُ شَيْء

اللّامُ المُقْتَرِنَةُ بالاسمِ الأعْظَمِ في قَوْلِ اللّه تَعالَى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ هيَ لامُ الاسْتِحْقاقِ والاخْتِصاصِ، أفادَت مَعَ عُمومِ الأمرِ أنَّهُ لا أمرَ يَوْمَئِذٍ إلّا للّه وحْدَهُ، فلا يَصْدُرُ مِن غَيْرِهِ فِعْلٌ إلّا بإذْنِه[1]، فهوَ المُخْتَصُّ بهِ، لا يُشارِكُهُ فيهِ مُشارِكٌ ظاهِرًا أو باطِنًا[2]، وفي اللّامِ دَلالَةٌ على أنَّ الأمرَ الحَقيقيَّ في ذَلِكَ اليَوْمِ لا يَكونُ إلّا للّه تَعالَى، دونَ ما يَتَوَهَّمُهُ الخَلْقُ في الدُّنْيا مِنْ مَظاهِرِ المُلْكِ والتَّصَرُّفِ، فهوَ إظْهارٌ لِحَقيقَةٍ كانَت ثابِتَةً في جَميعِ الأزْمِنَةِ، ولَكِنَّها في ذَلِكَ اليَوْمِ تَبْدو مُعايَنَةً؛ إذ لا يَبْقَى لِغَيْرِ اللّه سُلْطانٌ، ولا شُبْهَةُ تَصَرُّفٍ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 185.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/ 352.

دَلالَةُ التَّعبيرِ باسْمِ الأُلوهيَّة:

تَـفَـرُّدُ اللـه سُـبـحـانَـهُ بـالـسُّـلْـطـانِ المُطْلَق

جاءَ التَّعبيرُ باسْمِ الأُلوهيَّةِ في قَوْلِ اللّه تَعالَى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ دونَ أنْ يُقالَ: (لِلرَّبِّ)؛ لِما في الاسْمِ (اللّه) مِنْ دَلالَةِ الاستِغْراقِ والانفرادِ بالمَعْبوديَّةِ، فهوَ أنْسَبُ بمَقامِ التَّهْويلِ؛ لإثباتِهِ أنَّهُ لا يَتَجَلَّى في ذَلِكَ اليَوْمِ سُلْطانٌ ولا مَرْجِعٌ إلّا لِلْمَعْبودِ الحَقِّ، أمّا لَفْظُ (الرَّبِّ)؛ فإنَّهُ يَغْلِبُ فيهِ مَعْنَى التَّدْبيرِ والرِّعايَةِ، وهوَ أوفَقُ بمَقامِ الإنعامِ والتَّرْبيَةِ، كَما في قَوْلِهِ أوَّلَ السّورَةِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾، فاخْتيارُ اسْمِ الجَلالَةِ هُنا يُشْعِرُ بانقِطاعِ العَلائِقِ وتَعْطيلِ كُلِّ سُلْطانٍ ومَرْجِعٍ، حَتَّى لا يَبْقَى إلّا مَقامُ المَعْبودِ المُطْلَقِ، الَّذي يَخْضَعُ لَهُ الخَلْقُ جَميعًا في ذَلِكَ اليَوْمِ المَهولِ؛ ليَتَضَمَّنَ تَهديدًا عَظيمًا لِلْعُصاة[1].

بَلاغَةُ التَّذْييل:

تَـقْـريـرُ المُـلْـكِ المُطْلَقِ لله، بَعْدَ نَفْيِ شَيْءٍ مِنْه عَنِ المَخْلوقين

جاءُ قولُ اللّه تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ فاصلًا لِهَذِهِ السّورَةِ وخِتامًا لَها، توجزُ مَعْناها، وتَضُمُّهُ تَحْتَ قاعِدَةٍ كُلّيَّةٍ، فقَدْ ذُكِرَ أوَّلًا أنَّهُ لا تَملِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا، وهوَ مَثَلٌ يُبَيِّنُ انقِطاعَ أواصِرِ المُلْكِ والمَنْفَعَةِ بَيْنَ الخَلائِقِ، ثُمَّ أُتبِعَ ذَلِكَ بالقاعِدَةِ المُجْمَلَةِ: أنَّ الأمرَ كُلَّهُ للّه في ذَلِكَ اليَوْمِ، فالتَّذْييلُ هُنا يُفيدُ تَأْكيدَ المَعْنَى وتَعْميمَهُ، ويَرْقَى بالتَّصْويرِ مِنْ مَجَرَّدِ نَفْيِ المُلْكِ عَنِ النُّفوسِ، إلَى إثْباتِ المُلْكِ المُطْلَقِ للّه وحْدَهُ، وهوَ مِنْ بَلاغَةِ الإيجازِ الَّذي يُغْني عَنِ الإطْنابِ، فكانَت جُمْلَةُ الفاصِلَةِ هُنا خاتِمَةً تُلَخِّصُ مَقْصودَ المَقامِ، وتَتَضَمَّنُ تَهْويلًا وتَحْذيرًا.

بَلاغَةُ التَّصْدير:

تَصْريحُ العَجُزِ بما جاء تَصْويرُهُ في الصَّدْر

جاءَت جُمْلَةُ: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ في خِتامِ السّورَةِ، وفيها ردُّ العَجُزِ على الصَّدرِ؛ لأنَّ أوَّلَ السّورةِ ابْتُدِئَ بالخَبَرِ عَنْ بَعْضِ أحْوالِ

(1) ابن عادل، اللُّباب: 20/ 206.

يَوْمِ الجَزاءِ، وخُتِمَتِ السّورَةُ ببَعْضِ أحْوالِهِ[1]، وهو على وجْهٍ مِنَ التَّصْديرِ؛ إذْ رُدَّ آخِرُها إلَى أوَّلِها؛ فإنَّ السّورَةَ فُتِحَت بذِكْرِ انْفِطارِ السَّماءِ وانْتِثارِ الكَواكِبِ وتَفْجيرِ البِحارِ، وهوَ مَشْهَدٌ يُصَوِّرُ تلاشي النِّظامِ الكَوْنيِّ الَّذي كانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ الإنْسانُ، ثُمَّ خُتِمَت بذِكْرِ أنَّ الأمرَ يَصيرُ للّه وحْدَهُ، فكانَ في ذَلِكَ رَدٌّ لِلْخاتِمَةِ على المُفْتَتَحِ؛ إذْ ما بَيْنَ انْفِطارِ السَّماءِ وزَوالِ الكَواكِبِ وتَبَدُّدِ البِحارِ إلّا إعْلانٌ بأنَّ الأمرَ المُطْلَقَ يَرْجِعُ إلَى صاحِبِهِ الحَقِّ، وهَذا الضَّرْبُ مِنَ التَّرْكيبِ يُفيدُ إحْكامَ البِناءِ البَلاغيِّ، ويُرَسِّخُ المَعْنَى في النُّفوسِ بحُسْنِ الخِتامِ على نَفْسِ القاعِدَةِ الَّتي بُدِئَ بها، فيَكونُ السِّياقُ كالدّائِرَةِ الَّتي يُطَوِّقُ أوَّلُها بآخِرِها، وذَلِكَ مِنْ بُلوغِ البَلاغَةِ غايَتَها.

دَلالَةُ التَّقْييدِ بالظَّرْف:

ظُهورُ حَقيقَةِ الأمر

قُيِّدَ الأمرُ للّه بيَومِ القيامَةِ في قَولِ اللّه تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ – معَ أنَّ الأمرَ له في كُلِّ الأزْمانِ والأحْوال، يَتَصَرَّفُ في خَلْقِهِ بما شاءَ كَيفَ شاء، ولا يُشارِكُهُ أحَدٌ في ذَلِك – لأنَّ النّاسَ كانوا في الدُّنْيا يَظُنّونَ أنَّهُم يَملِكونَ شَيئًا، ويَملِكونَ فيما بَينَهُمُ الضُّرَّ والنَّفْع؛ لَكِنَّ هَذا الظّاهِرَ مِنْ أمرِهِمُ الدُّنْيَويِّ لَنْ يَكونَ لَهُم مِنْهُ شَيْءٌ في الآخِرَة، كَما قالَ تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: 16][2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 185.

(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 10/ 1485.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"